أبناء دار العلوم

يكرمونه فى نادى رابطة ممثلى الدول العربية فى اللجنة الثقافية العامة للجامعة العربية

سعدت مصر فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ بزيارة نخبة ممتازة من صفوة أعلام رجال الأدب والفكر فى الأقطار العربية ، جاءوا إليها ، ليمثلوا دولهم فى الاجتماع العام للجنة الثقافية بالجامعة العربية .

وما علم أبناء دار العلوم بتشريف حضراتهم أرض الكنانة ، حتى خفوا إلى لقائهم ، والترحيب بقدومهم والحفاوة بهم فى كل مكان حلوا به من أرض مصر ؛ ثم قرروا إقامة حفل تعارف وتكريم لحضراتهم بنادى دار العلوم ، ودعوا إليه كثيرا من العلماء والأدباء والمربين والصحفيين وقادة الرأى والفكر فى مصر ، ليشهدوا حفلا عربيا ، يضم إخوة كراما ، تباعدت أقطارهم وتقاربت أرواحهم واتحدت أغراضهم وأهدافهم ، فاجتمعوا فى صعيد واحد لينظروا ، ويقرروا ، ثم يعود كل منهم إلى وطنه حاملا مشعل الثقافة القومية العربية ، ليشعل به ما أطفأه الاستعمار من أنوار الحضارة العربية والثقافة القومية .

وفى مساء الأربعاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حفل نادى دار العلوم بجمهرة كبيرة من أفاضل العلماء ، وكبار الأدباء ، وأعلام المربين ، ومن حرصوا على إجابة دعوة أبناء دار العلوم ليظفروا بشرف التعرف إلى معشر عربى كريم عزيز على مصر وبنيها ، فازدحمت بهم حجرات النادى وأبهاؤه الفسيحة ، واستقبلهم الداعون استقبالا كريما ، وشاع بين الموجودين بالنادى روح ألفة ومودة ، وشملهم فرح وسرور ألفوه فى أيام الأعياد ، وأوقات الصفاء .

وكم كان جميلا أن ترى البشر والايناس والفرح والسرور يبدو على قسمات وجوه الحاضرين من كرام المدعوين ، وقد تنقل بينهم مؤانساً وملاطفا ومحييا (من كبار الداعين) حضرات الأساتذة سعد بك اللبان ، ونجيب بك حتاته

ومحمد بك على مصطفى ، واحمد بك على عباس ، ومنصور بك سليمان ، وعبد الحميد بك حسن ، والدكتور ابراهيم بك سلامه ، وعطيه بك الإبراشى وزكى بك المهندس ، وابراهيم بك مصطفى ، واحمد بك الشايب وغيرهم .

وفى تمام الساعة السابعة كمل حضور حضرات السادة المكرمين من ممثلى الدول العربية فى اللجنة الثقافية وحضرات المدعوين من ممثلى الهيئات السياسية العربية فى مصر ؛ فتقدم حضرة الأستاذ سعد بك اللبان رئيس جماعة دار العلوم ودعا حضراتهم إلى التفضل بتشريفهم البهو الكبير ؛ ليتناولوا الشاى على موائده التى نسقت تنسيقا بديعا ؛ فاختلف إليها المدعوون ، وتصدر المائدة الرئيسية حضرة الأستاذ الرئيس ، وعن يمينه وعن شماله حضرات المحتفى بهم ، وبعد تناول الشاى وقف حضرة رئيس الجماعة ، وألقى خطبة جامعة ، شكر فيها للحاضرين تفضلهم بإجابة دعوة إخوانهم أبناء دار العلوم الذين قصدوا من هذا التكريم توثيق أواصر المحبة والألفة ، والمودة والقربى بين أبناء العروبة فى سائر أقطارها ، والاعتراف بما لقى أبناء دار العلوم فى المؤتمر الثقافى العربى الأول فى لبنان من جميل الرعاية اللبنانية ، وكريم الحفاوة العربية بهم من جميع أعضاء الوفود العربية ثم ألمع فى خطبته إلى تاريخ دار العلوم وبلائها فى خدمة اللغة والأدب خمسة وسبعين عاما من عصر النهضة الحديثة ، ورجا فى النهاية لحضرات الأشقاء الكرام طيب الاقامة ، فقوبلت خطبته بالاستحسان والاعجاب . ثم تلاه الشاعر المبدع الأستاذ محمود غنيم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانشد قصيدة عصماء من قصائده العامرة بعنوان « تحية لبنان » ، حيا فيها العروبة وقادتها وأبطالها وعلماءها وأدباءها ، وأثنى على لبنان وأهله بما هم جديرون به من مستطاب الثناء ، وقد استعيد كثير من أبياتها الخالدة التى أشعلت حماسة الحاضرين.

ثم تعاقبت من بعده خطباء وفود الدول العربية ، فارتجل معالى الدكتور

سامى شوكت بك وزير صحة العراق السابق ورئيس البعثة الطبية العراقية خطبة رسم فيها الخطوط الرئيسية لبناء النهضة العربية الحديثة على أسس صحيحة ، ودعائم قوية متينة ، ثم دعا فيها إلى التحرر من قيود الرجعية ، والبعد عن ميوعة التربية المترفة التى لاتكون أما فاضلة ، ولاأباصالحا ، ولا جنديا شجاعا مقداما ، ولا بطلا مغوارا . وقال إن الأمم العربية لن تبلغ أهدافها ولن تتم سعادتها إلا إذا ارتقى فيها رجل الدين والمرأة رقيا يجعلهما فى مستوى رجل الدين والمرأة فى انجلترا » ، وضرب لذلك أمثلة ، ودلل على صواب رأيه بما عقد من موازنات .

ثم تكلم من بعده المربى العربى الكبير العالم الجليل زائر مصر الكريم حضرة الأستاذ ساطع بك الحصرى، كلمة موجزة ضمنها أمانيه وآماله للشرق والعرب ، ما تحقق منها ، وما يرجو تحقيقه على يد الوحدة العربية .

ثم قام الخطيب المصقع حضرة الأستاذ الكبير واصف بك البارودى المفتش العام لوزارة التربية الوطنية اللبنانية وعضو اللجنة الثقافية العامة للجامعة العربيه ، فارتجل خطبة قيمة أثنى فيها على أبناء دار العلوم ، وشكر لهم جهودهم الموفقة فى خدمة اللغة والأدب خمسة وسبعين عاما هى الزهرة الناضرة فى عمر النهضة الحديثة ، وتحدث عن أثرهم الصالح فى تعليم الفصحى فى سائر الدول العربية على أسس صحيحة ، وأساليب قويمة ، سهلت على المتعلمين تعلمها ودراستها ، فتخرج على أيديهم فى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والحجاز وحضرموت واليمن والكويت وليبيا، أساتذة حذقوا اللغة، وعلموها فى مدارسهم ، ثم أفاض القول فى منزلة اللغة العربية بين اللغات الحية ، ونعى على المولعين بالتقليد الأعمى اتهامهم اللغة العربية بالعقم والصعوبة والجمود ، وعدم صلاحيتها لمسايرة الزمن ، وحاجتها إلى التيسير والتخفيف والتجديد ، فبرأها مما قالوا ، ونزهها عما رموها به ، وعقد بينها وبين الانجليزية والفرنسية موازنة أثبت فيها أن اللغة العربية أغنى اللغات ، وأكثرها دقة وضبطا ،

وأسهلها تعلما ، وأيسرها حفظا ، وأطولها عمرا ، وأبقاها على الزمن . ثم قال ليس فى اللغة العربية صعوبة أو جمود أو عيب ، وإنما العيب فى هؤلاء الأبناء المدللين المترفين الذين يحاولون حذق اللغة ، وتذوق حلاوة أدبها ، دون أن يحملوا أقدامهم مشقة السير إلى غايتهم ، وعقولهم مؤونة التفكر والتفهم والتدبر ، وأنفسهم ذل التعلم وتعب الدرس والتحصيل ، فجوزوا على كسلهم وخمولهم بالحرمان ، فتجنوا على اللغة ورموها بما هى منه براء . ثم دعا إلى التجديد فى الوسائل والأساليب ، وطرائق التعليم ومظاهر العرض مع الاحتفاظ بجوهر اللغة سليما ، والاهتمام بها باعتبارها لغة الثقافة القومية فى سائر الأقطار العربية .

ثم شكر فى نهاية خطبته لأبناء دار العلوم كريم دعوتهم التى هيأت له فرصة الاجتماع باخوانه ، والتحدث إليهم بما تجيش به نفسه ، وشكر للحاضرين استماعهم وتحيتهم وتشجيعهم وجلس بين دوى تصفيق الاعجاب والاستحسان .

ثم طلب الكلمة الأستاذ محمود العزب موسى المحرر بجريدة الاهرام فقام وعقب على بعض ما جاء بكلمة معالى الدكتور شوكت بك خاصا بالمرأة الشرقية العربية والمرأة الانجليزية منصفا المرأة العربية .

ثم اختتمت الحفلة بكلمة قوية لحضرة النائب المحترم الأستاذ سعد بك اللبان رئيس جماعة دار العلوم شكر فيها لحضرات خطباء وفود الدول العربية تقديرهم السامى لجهود دار العلوم وأبنائها فى خدمة الفصحى والثقافة القومية فى سائر الدول العربية — وشرح فيها فى لباقة بارعة ، وأدب عال رفيع كل ما أشار إليه معالى الدكتور شوكت بك فى خطبته عن رجل الدين والمرأة فى الشرق والاسلام ، وأبان وجه الصواب ، وأعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فكان الأستاذ الرئيس موفقا فى كلمته كل التوفيق ، ظافرا باستحسان جميع الحاضرين ، واعجاب حضرات ممثلى الدول العربية بما حذق من ضروب الردود البرلمانية الدامغة فى أدب ورقة ولطف .

محمود الخولى